عالم هندوسي في خدمة لغة الضاد

دكتور محمد أكرم الأعظمي

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية ، جامعة دلهي

الهند بلد العجائب والغرائب فقد شهد محيطها اللغوي لغات ولهجات مختلفة وأنتجت مجاميعها من الثقافات والفلسفات والأفكار المتنوعة أكثر من ١٥٠ لغة وأكثر من ٣٠ لهجة وأن الهندوس الهنود الذين ليس لهم علاقة باللغة العربية مباشرة ما زالوا يتعلمونها ويتدارسونها فيما بينهم منذ قديم ؛ فمن قلائل الهندوس الأفذاذ بالهند الذين تعلموا اللغة العربية فأتقنوها، وألموا بعلومها فتضلعوا منها وأجادوها، وكان لهم حظ وافر في خدمة آدابها وفنونها وإبراز علومها وأعلامها، صاحبنا الأستاذ الدكتور شيو راي شودري .

كان الأستاذ شيو راي شودري قد ولد في عائلة هندوسية مثقفة بقرية "دايا مراد" من مديرية "ميان والي" بمقاطعة بنجاب للهند المتحدة قبل انفصالها في العشرين من كانون الأول عام ١٩٢٠ الميلادي وكان أبوه إقطاعيا كبيرا بالمنطقة فنشأ وترعرع في رغدة وهناء وتلقى دروسه الابتدائية في القرية نفسها. وبعد أن أكمل الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدرسة القرية التحق بكلية من جامعة بنجاب بلاهور وحصل على شهادة بكالوريوس الشرف في اللغة العربية والفارسية وتم هنالك تعيينه كقاض بالدرجة الأولى. ثم حدث ما حدث من كارثة تقسيم بلاد الهند إلى دولتين مستقلتين الهند وباكستان فهاجر السيد شودري مع أسرته إلى دلهي مرورا من مدينة أنباله وغيرها من المناطق المجاورة.

وبعد أن هدأت الأوضاع واستقر الأمن استوطنت عائلته بلدة غورغاون الكائنة بولاية هاريانه حاليا، وطفق يتم دراسته فأكمل الماجستير من جامعة بنجاب في اللغة الفارسية والإنكليزية واحدا تلو آخر وأكمل الماجستير في العربية متعاقبا من جامعة دلهي ثم تم قبوله لدى قسم اللغة العربية بجامعة دلهي كباحث في الدكتوراه تحت

إشراف رئيس القسم آنذاك الأستاذ خورشيد أحمد فارق وكان موضوع أطروحته التي منحته الجامعة عليها درجة الدكتوراه " الحجاج بن يوسف : دراسة لشخصيته وأعماله "؛ قد أعدها الباحث في اللغة الإنكليزية وكانت هي أول أطروحة قدمت إلى قسم اللغة العربية بجامعة دلهي.

واشتغل الدكتور شودري أولا كمذيع ومترجم بإذاعة عموم الهند وخلال هذه الفترة بعثته الحكومة الهندية على منحتها الدراسية إلى جمهورية مصر العربية للاستفادة من أساتذتها وعلمائها الكبار فتم تسجيله في جامعة القاهرة في مرحلة الدكتوراه تحت إشراف الدكتورة سهير القلماوي وكان موضوع رسالته هناك " مدرسة الديوان " وهكذا فاز الدكتور شودري بنيل درجة الدكتوراه مرتين وتميز الواحد من الآخر بأن الأولى في اللغة العربية الكلاسيكية والثانية في الحديثة.

وبعد رجوعه من مصر عاد إلى وظيفته بإذاعة عموم الهند واشتغل كمشرف وبجانب آخر تم تعيينه كمحاضر في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي عام ١٩٦٩م فشغلته كلتا الوظيفتين معا. قام الدكتور شيو راي شودري في الجامعة بأداء مهام التدريس وأشرف على عدة رسائل الدكتوراه ثم فوضت إليه رئاسة القسم في الفترة ما بين ١٦\ ١٩٨٠\٧م إلى ٣\ ١٢\١٩٨٠م وهكذا حتى التحق بجامعة غوروكل كانغري الواقعة في هاري دوار كأستاذ زائر واستقال عن العمل في جامعة دلهي قبل تاريخ تقاعده المحدد لدى الجامعة بشهرين تقريبا فغادر مدينة دلهي وانتقل إلى هاري دوار عام ١٩٨٥م. ثم بادر إلى تكميل مشاريعه الأكاديمية المختلفة ومنها مشروع ترجمة كتاب "غيتا" المقدس إلى العربية فقام بها تحت رعاية المجلس الهندي للعلاقات الثقافية وقدمها نهائيا إليه ثم صمم الدكتور على ترجمة الكتب المقدسة الأخرى لدى الهندوس من ريغ فيدا وأتار فيدا ويجور فيدا وساما فيدا وما إلى ذلك ؛ وأعانه على ذلك مثواه في جامعة غوروكل كانغري لكونها مركزا هاما ومتخصصا لأمثال هذه الكتب وشروحها وعلمائها البارزين فإنها جامعة متميزة بالعلوم الهندوسية وآدابها فواصل العمل في مشاريعه وعندما كان هذا المهم قد شغل باله وأخذ بمجامع قلبه وكان منهمكا في إتمام مشروعه الجليل إذ وافته المنية في التاسع عشر من شهر أيلول عام ١٩٩٠م.

وكان للأستاذ شودري تلاميذ أوفياء قاموا فيما بعد بإشادة ذكره الجميل والتنويه بأعماله القيمة فأصبح مثلا تلميذه الرشيد الدكتور شفيع الرحمن أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة دلهي وتولى تلميذه الأستاذ الدكتور

بدرالدين الحافظ كذلك رئاسة قسم اللغة العربية والفارسية بجامعة بنارس الهندوسية واشتغل الدكتور رشيد الوحيدي في قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الملية الإسلامية كأستاذ مساعد وما إلى ذلك.

وبالإضافة إلى ما قام به الأستاذ شودري من أمور التدريس وتربية الجيل المثقف في مجال العلم والأدب كانت له أعمال قيمة في مجال التصنيف والتأليف لايستهان بها فمن مؤلفاته المطبوعة والمنشورة ثلاثة بالإنكليزية وثلاثة بالعربية بما فيها موضوعات متنوعة قديمة وحديثة. وعناوين مؤلفاته كالتالي :

١. مدرسة الديوان : تم نشره من مكتبة إشاعت إسلام بدلهي.
٢. النقد العربي الحديث : ظهرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٨٤م من مكتبة إشاعت إسلام بمدينة دلهي.
٣. النهضة والتطور في الأدب العربي الحديث : تم نشره من مكتبة إشاعت إسلام بدلهي.
٤. Trends in Modern Arabic Poetry (اتجاهات في الشعر العربي الحديث) طبع في غور غاؤن عام ١٩٦٩م.
٥. Gibran (An Introduction) (جبران: عرض وتقديم) طبع في غور غاؤن سنة ١٩٧٠م.
٦. Al-Hajjaj ibn Yousuf (An examination of his work & personality) (الحجاج بن يوسف: دراسة لشخصيته وأعماله) طبع في مطبعة جامعة دلهي سنة ١٩٧٢م.

فكتاب مدرسة الديوان له أصلا دراسة عميقة لهذه الحركة الأدبية ولأصحاب هذه المدرسة من الكتاب الذين نقدوا الكتاب المصريين المعاصرين، وقام صاحب الكتاب كذلك بالمقارنة بين كتاب الديوان للمازني والعقاد وبين كتاب غربال لميخائيل نعيمة؛ فهو أول مؤلف من نوعه تم نشره في شبه القارة الهندية ليفيد القراء موضوع النقد والنقاد في الأدب العربي المعاصر والحديث. والكتاب الحجاج بن يوسف أيضا كتاب مهم جدا لصاحبه الدكتور شودري فهو دراسة شاملة لجوانب شخصيته المتنوعة وأعماله المختلفة فقسم الكتاب صاحبه إلى عشرة أبواب وبحث في الوظائف والمهام التي تولاها الحجاج بالخلافة الأموية كعسكري ووال وحاكم وما إلى ذلك من مبادراته التي أخذها لإرساء جذور بني أمية وخلافتهم ثم قام بتقييم أعماله الإدارية والعسكرية. وتحدث الدكتور شودري في كتابه النهضة والتطور في الأدب العربي الحديث عن تأثير الثقافات الأجنبية في نهضة الأدب العربي الحديث وتطور القصة العربية المصرية. وكتاب جبران عرض فيه صاحبه عن شخصيته وأعماله الأدبية مختصرا. وقدم كذلك في كتاب له اتجاهات

جديدة في الشعر العربي الحديث بالاختصار كما قام في كتاب له آخر بتقديم فن النقد وعرض ما كتب فيه المؤلفون المعاصرون وتقديره وتقويمه وما إلى ذلك.

ويمتاز الأستاذ شودري بين جميع أساتذة الأقسام العربية بشتى الجامعات الهندية بأنه فاز باحتياز شهادتين للدكتوراه من الهند وخارجها الأولى في اللغة العربية القديمة والثانية في العربية الحديثة ومن ميزاته كذلك أن رسالته للدكتوراه قامت جامعة دلهي بنشرها من مطبعتها الرسمية نظرا لأهميتها واستحسانا لمستواها البحثي والعلمي وطبعت أيضا أطروحته الثانية ونالت لدى الأوساط العلمية الإعجاب والقبول حتى قيل إن الزعيم المصري ورئيس جمهوريتها السابق جمال عبد الناصر تلقاها بقبول. ثم أكرمه الرئيس الهندي بجائزة تقديرية وشهادة الشرف لخدماته المتميزة في مجال اللغة العربية وآدابها.

ولو عثر إلى ما قام به قلم الأستاذ شودري من إتمام نقل الكتاب المقدس "غيتا" إلى العربية وإلى ما كان قد اشتغل به أخيرا حين موته من ترجمة مقتبسات عديدة للكتب المقدسة لدى الهندوس لكان أفخر أعماله الأدبية وأجدر أن يعد من أهم ما أنجزه الهنود من خدمات جليلة في مجال الترجمة من السنسكريتية إلى العربية.

☆☆☆